الميزان

كن يشغلن جميع المقاعد
كحشد هادئ وقديم،
يسندن ظهورهن إلى بعضها البعض،
القبعة السوداء غائصة حتى العينين.
قفزت اثنتان، تعثرتا في الطريق إلى الرصيف:
"لقد تأخر عشر دقائق عن يوم الاثنين الماضي".
كن ما زلن يهمسن عند عودتهن.
القطارات تأتي وتروح بمسافرين قليلين.
في قرية أخرى ثمة أعياد؛
عند مدخل أحد الشوارع التي خرجنا منها،
كانت الفتيات العشرة يرقبن البشر ملتصقات،
متصلبات حين يأخذن الطوق المعدني.
ينظرن كأبي الهول. تسقطهن أرضا ماكينة الملاهي.
يصرخن، وبالكاد كانت تُرى أسنان الماكينة.

كان يعطينا بيانات عن الحانة- "تعرفونه جميعا"-،
ظل لأعوام طويلة يبحث عن مكان هناك،
كانت ثمة طفلة تلعب بين الموائد،
بينما يحاول أن يكتب، كبرت
مع زجاجات النبيذ.
منذ وقت قليل عاود الدخول
وذلك الوجه كان ينتبه للبار من خلال
جسد آخر.
ما أغرب أن تكون شاعرا –
"لا يخطر ببال أحد أن يخبره".
أحيانا
كان يلعب بالأوراق،
سأل يوما إذا ما كانت الجملة التي تفوه بها لتوه مناسبة،
ضرورية،
أجابوه بنعم؛
لم يعودوا لدعوته للعب معهم.

من خلال زجاج الحافلة
كانت ترى الحقول الخضراء
وصفوف أشجار الزيتون، ولكن الموروبة كذلك،
وحقول الضفة الأخرى
والسيارات في كلا الاتجاهين،
وجوه المسافرين المعطين ظهورهم
وكتابي وإيماءة السائق –
تصنع تصميما لمقعده الذي يأخذ في النط، كلعبة ملاه متحركة.
إنه *ألف* غريب حيث
يتجمع كل شئ وحيث يختلط.
أقرأ في أحد الإعلانات:
أوسيدا أوروثكو للبلاط – صفائح معدنية
ملساء تحيل إلى الشاعرتين في يونكلير.
ثمة مشكلة أخرى مع الميزان:
أي شيء يمكن أن يوزن فيه، إذا كان
قد أخذ من تلك المزبلة حيث كان وحيث تم إصلاحه ،
ما الذي يمكن وزنه.
طارت عبر المائدة أسراب من طيور السمام،
عبرت الورقة، الخط الأسود المنقطع.

بسترته المهترئة ونظاراته السميكة بشدة،
الأكثر حزنا
والمهرج، الرصين، الدويندي غير المعقول.
كسيرافين فإن أحدا لم يرتجل أناشيد المينهو* –
أحيانا في مقطوعة واحدة كان يتكرر فقط البيت نفسه،
كان يشعله ويطفئه،
كل المعاني كانت تتلألأ كما في داخله، وهو يفصل اهتزازا بين الضحكات.
مد يده على طولها وأشار بإصبعه إلى شعار "إيتا"* العسكري:
"عشت في "إيرون * سنوات السبعينات،
أعرف أن الأمر الآن لم يعد كما كان، لكنني عشت هناك".
لم أستطع التذكر
إذا ما كان يحدثني بلغته أم بلغتي.

---

* المينهو إقليم برتغالي قديم. م.
* "إيتا" المنظمة الباسكية الانفصالية. م.
* إيرون مدينة باسكية تقع على حدود فرنسا. م.